الأحد 17/11/2013 **الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال**

أبواب الفرج

إطعام الطعام وسقي الماء

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك وبعد:

بدأنا في سلسلةِ دروسٍ بعنوان **أبواب الفرج** سائلين الله تعالى أن يعجِّل لنا بالفرج وأن يجعله محفوفاً بألطافه.

بدأنا في الدرس الماضي في أهم باب من أبواب الفرج وهو التعاون، وحديثنا اليوم في صورة من صور التعاون وهي **إطعام الطعام وسقي الماء**.

إذا نزلت نازلة شديدة ترى بعض الناس في حاجة إلى لقمة الطعام، ترى أغنياء البلدة صاروا متوسطي الحال، ترى أصحاب الدخل المتوسط نزل مستواهم حتى أصابهم الفقر، وربما صار الفقراء تحت خط الفقر.

أقل مستوى من التعاون والتكاتف والتآزر بين الناس أن يتراحموا ويتكاتفوا بإطعام الطعام وسقي الماء، ولعل امرأً -لم يَعْتَدْ على تقديم الطعام للآخرين- أن يرى الأمر بسيطاً غير أنه في الأزمات من أهم الأمور، ولعله يكون عاملاً في دفعِ هلاكٍ عن إنسان ما.

كان العرب قبل الإسلام يحبون إطعام الطعام، ولعلك تجد هذه المادة بكثافتها وغزارتها وإقبال الناس عليها عند العرب عامة، والمسلمين خاصة، ولما جاء الإسلام عزز فيهم هذه المادة عبر نصوص كثيرة في القرآن الكريم، وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم تتحدث عن إطعام الطعام، خاصةً عن سائر الصدقات والمعونات، سواء في الأزمات والشدائد أو خارجها.

وقد جعلت العرب للطعام الذي يقدموه للآخرين أكثر من عشرة أسماء، **وكثرة الأسماء دليل على الاهتمام بالمسمى:**

1. إذا قُدِّمَ طعام للضيف سمي القِرَى.

2. إذا كانت هناك دعوة خاصة سميت مَأدُبَة.

3. إذا جاء زائر سريع سمي طعامه التُّحْفة.

4. إذا كان هناك عرس سمي طعامه الوليمة.

5. إذا ولد لك مولود سمي طعامه الخُرْسْ.

6. إذا بلغ المولود اليوم السابع صَنَعَ والده طعاماً سمي العقيقة.

7. إذا أقيم عزاء ومأتم سمي طعامه الوضيمة

8. إذا قَدِمَ رجل من السفر فقدِّم له طعام سمي النقيعة.

9. إذا دخل الرجل بأهله وَبَنَى بهم وجاءه الضيفان بعد أيام سمي طعامهم الوكيرة.

10. إذا قدمت طعاماً للضيف ريثما يحضر الطعام سمي السُّلْفَة.

11. إذا كان الضيف في عجلة قدم له طعام سمي العُجالة [انظر فقه اللغة للثعالبي].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: **لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ:** «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ**» [الترمذي].

قال تعالى في صفة الأبرار: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: 8-11].

قال العلماء: هاء الضمير في قوله ﴿حُبِّهِ﴾ تعود على:

أ. حب الله تعالى.

ب. وقيل: على حبهم للطعام.

ت. وقيل: حبهم لإطعام الطعام.

﴿مِسْكِينًا﴾ المسكين: هو الذي يملك أكثر من نصف دخله غير أنه لا يكفيه.

﴿وَيَتِيمًا﴾ اليتيم: هو الذي مات أبوه وهو دون سن البلوغ.

﴿وَأَسِيرًا﴾ وهو اللافت في الأمر فالأسير رجل من الأعداء كان يقاتلنا فألقينا القبض عليه فصار بين أيدينا.

قال تعالى في أوصاف أهل النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ [المدثر: 42-44].

قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: 1-3].

فالمكذب بالدين: لا يطعم المسكين ولا يشجع الناس على إطعامه أيضاً.

– إن الزكاة ركن من أركان الإسلام وكما أنها تجب في المال فهي تجب في الزروع والثمار وكلاهما من الطعام، والزكاة الواجبة فيهما أن تخرج من عين ما تنتج.

– أصل صدقة الفطر أنها إطعام طعام بإخراج صاع من تمر أو بُرٍّ أو شعير، لكن عندما قَلَّ تعامل الناس بهذه الأصناف صار يؤخذ بقيمة المال.

– للقوانين الوضعية طرق في التعزيرات والعقوبات، كدفع غرامة مالية، أو سجن... لكن الإسلام أدخل إطعام الطعام ككفارة في بعض المخالفات الشرعية منها:

- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ [المجادلة: 3-4].

- قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة: 89].

- حكم من جامع زوجه في يوم رمضان عامداً عارفاً بالحكم أن يصوم ستين يوماً فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً.

– الأضحية والعقيقة هما إطعام طعام.

– جعل الله من أسباب النجاة من عذاب النار بذل الطعام للمحتاجين ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ [البلد: 11-14].

﴿مَسْغَبَةٍ﴾ : أي مجاعة.

فإذا نزلت أزمة أو مجاعة أو بلية أو حصل ضيق في القرية أو البلد أو الأسرة جعل الله إطعامَك الطعامَ للناس -بما يناسب حالك- سبباً لاجتيازِك العقبة.

عن أصبغ بن زيد قال: ((**كان أويس القرني إذا أمسى يقول: هذه ليلة الركوع فيركع حتى يصبح، وكان يقول إذا أمسى: هذه ليلة السجود فيسجد حتى يصبح، وكان إذا أمسى تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والثياب ثم يقول: اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذني به ومن مات عُرياناً فلا تؤاخذني به**)) [حلية الأولياء].

كان بعض الصالحين إذا أكل الأكلة يدعو فيقول: اللهم لا تؤاخذني بحق الجائعين

أعرف بعض الإخوة إذا أنهى طعامه قال: (**اللهم أطعم فقراء المسلمين ومساكنهم مثل الذي أطعمتني**)، فإذا جلست مع أولادك على المائدة فذكرهم أن أناساً لا يجدون مثل هذا الطعام وأنهم يعيشون في بحبوحة والناس بحاجة لما هم عليه.

عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: (**كَانَ يُقَالُ: أَنَّ مِنْ مُوجِبَاتِ الرَّحْمَةِ إِطْعَامَ الْمُسْلِمِ السَّغْبَانِ**) [إتحاف الخيرة المهرة].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، **أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ؟ قَالَ**: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**» [البخاري ومسلم].

لإطعام الطعام سِرٌّ مُتوارَث عن آبائنا وأجدادنا، فترى الرجلَ يقع في ضائقة مالية فيطعم الطعام على نية أن يوسع الله تعالى عليه فترى أن السعة قد جاءته، وترى مريضاً أعيا الأطباء فيطعم الطعام فيشفى بإذن الله، ومن هذه القصص:

((سَأَلَ رَجُلٌ ابْنَ الْمُبَارَكِ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَرْحَةٌ خَرَجَتْ فِي رُكْبَتِي مُنْذُ سَبْعِ سِنِينَ، وَقَدْ عَالَجْتُ بِأَنْوَاعِ الْعِلَاجِ، وَسَأَلْتُ الْأَطِبَّاءَ فَلَمْ أَنْتَفِعْ بِهِ، قَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ مَوْضِعًا يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَى الْمَاءِ فَاحْفُرْ هُنَاكَ بِئْرًا، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَنْبُعَ هُنَاكَ عَيْنٌ، وَيُمْسِكُ عَنْكَ الدَّمُ، فَفَعَلَ الرَّجُلُ فَبَرِئَ.

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَفِي هَذَا الْمَعْنَى حِكَايَةُ قَرْحَةِ شَيْخِنَا الْحَاكِمِ أَبِي عَبْدِ اللهِ رَحِمَهُ اللهُ، فَإِنَّهُ قَرِحَ وَجْهُهُ وَعَالَجَهُ بِأَنْوَاعِ الْمُعَالَجَةِ فَلَمْ يَذْهَبْ وَبَقِيَ فِيهِ قَرِيبًا مِنْ سَنَةٍ، فَسَأَلَ الْأُسْتَاذَ

الْإِمَامَ أَبَا عُثْمَانَ الصَّابُونِيَّ أَنْ يَدْعُو لَهُ فِي مَجْلِسِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَدَعَا لَهُ، وَأَكْثَرَ النَّاسُ فِي التَّأْمِينِ، فَلَمَّا كَانَتِ الْجُمُعَةُ الْأُخْرَى أَلْقَتِ امْرَأَةٌ فِي الْمَجْلِسِ رُقْعَةً بِأَنَّهَا عَادَتْ إِلَى بَيْتِهَا، وَاجْتَهَدَتْ فِي الدُّعَاءِ لِلْحَاكِمِ أَبِي عَبْدِ اللهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَرَأَتْ فِي مَنَامِهَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّهُ يَقُولُ لَهَا: قُولُوا لِأَبِي عَبْدِ اللهِ: يُوسِّعُ الْمَاءَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَجِئْتُ بِالرُّقْعَةِ إِلَى الْحَاكِمِ أَبِي عَبْدِ اللهِ فَأَمَرَ بِسِقَايَةِ الْمَاءِ بُنِيَتْ عَلَى بَابِ دَارِهِ وَحِينَ فَرَغُوا مِنَ الْبِنَاءِ أَمَرَ بِصَبِّ الْمَاءِ فِيهَا وَطُرِحَ الْجَمَدَ فِي الْمَاءِ، وَأَخَذَ النَّاسُ فِي الشُّرْبِ فَمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُسْبُوعٌ حَتَّى ظَهَرَ الشِّفَاءُ، وَزَالَتْ تِلْكَ الْقُرُوحُ، وَعَادَ وَجْهُهُ إِلَى أَحْسَنِ مَا كَانَ، وَعَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ سِنِينَ)) [البيهقي في الشعب].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ أَطْعَمَ أَخَاهُ خُبْزًا حَتَّى يُشْبِعَهُ وَسَقَاهُ مَاءً حَتَّى يَرْوِيَهُ بَعَدَهُ اللَّهُ عَنِ النَّارِ سَبْعَ خَنَادِقَ بُعْدُ مَا بَيْنَ خَنْدَقَيْنِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ»** [الحاكم والبيهقي في الشعب].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَطْعَمَ مُؤْمِنًا عَلَى جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ ثِمَارِ الجَنَّةِ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَقَى مُؤْمِنًا عَلَى ظَمَأٍ سَقَاهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الرَّحِيقِ المَخْتُومِ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ كَسَا مُؤْمِنًا عَلَى عُرْيٍ كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ خُضْرِ الجَنَّةِ»** [الإمام أحمد والترمذي وأبو داود].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي»** [مسلم].

هذا شأن الإسلام والمسلمين مع إطعام الطعام أما شأن غيرهم:

- أعدمت أستراليا عشرين مليون رأس غنم ودفنتهم للحفاظ على سعر اللحم المرتفع.
- بعض الولايات الأمريكة أتلفت محصول البرتقال كُلَّه لإبقاء السعر مرتفعاً.

بعض الدول تلقي البن في البحر لإبقاء سعره العالمي مرتفعاً...

أما المؤمن فيجتهد ما استطاع ليقدم الطعام لغيره، بل يجتهد ليشطر اللقمة التي يأكلها ليجعل قسماً منها لنفسه وقسماً منها للآخرين.

إن من أبواب الفرج تقديم الطعام وإطعامه وسقي الماء للآخرين، فتعالوا ليقدم أحدنا ما استطاع من إطعام الطعام لأقاربه وأرحامه وأهله وجيرانه وأصدقائه ولمن هو قريب منه أو بعيد فإذا رآنا الله على ذلك فعساه أن يكتب لنا الفرج القريب.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والحمد لله رب العالمين.